موت أُمٍّ هي زوجة صديق طحطحتها١ الأمراض ففرَّقتها بين عِلَل الموت، وكان قلبها يحييها فأخذ يُهلكها، حتى إذا دنا أن يقضي كانت المسكينة في الخامسة والعشرين من سِنِّها، لم تتعلَّم ولكن علمها التقوى والفضيلة، ،عليها رحمها الله فقضى فيها قضاءه وأكمل النساء عندي ليست هي التي ملأتْ عينيها من الكتب فهي تنظر إلى الحياة نظرات تحلُّ مشاكل وتخلق مشاكل، فتؤمن ومهما تبلغ المرأة من العِلْم فالرجل أعظم منها بأنه .بأحزانها وأفراحها معًا، ومعناها التكملة الإلهية لصغارها وزوجها ونفسها ومشيتُ من البيت الذي ألبسَتْه الميتةُ معنى القبر، ولكن مع الموتى، لأنني في ●●● .رجل، أي: زيادة في سروره ونقصًا من آلامه .صحبة ميت، وتصبح للأرض في رأيي جغرافية أخرى عَمِيَ الناس عنها لشدة وضوحها، كالألوهية خَفِيَتْ من شدة ما ظهرتْ لَعَمْرِي، ما في ذلك يقولون: إن الحياة هي ... هي ماذا؟ ويحكم! أيها المغرورون؛ ،يقولون: إن ثلاثة أرباع الأرض يغمرها البحر هبت الريح في السَّحَر على رَوْضة غَنَّاء فطابت لها، فعقدتْ عقدتها شك، ولكنه في الطريق لا يعمل إلا عمل مَن قد فرَّ مِن ربه ...؟ أن تتخذ لها بيتًا في ذلك المكان الطيب لتقيم فيه ... يا لها حكمة من التدبير! تزعم الريحُ الإقامة على حين كل وجودها هو لحظة همَد الحيُّ وانطفأتْ عيناه، وأصبح ينظر بعينٍ من عمله إمَّا مبصرة أو كالعمياء، وما أعجب أن ●●● ،يا لها حكمة سامية ،مرورها ولو نطق الموتى لقالوا: أيها الأحياء، إن هذا الحاضر الذي يمر فيكون ماضيكم في !يجلس أهل المأتم في المأتم ليضحكوا ويلعبوا الدنيا، لا تزيدون فيه ولا تُنقِصون. وإن الدنيا تبدأ عندكم من الأعلى إلى الأدنى، ولكنها تنقلب في الآخرة فتبدأ من الفقراء إلى العظماء؛ وأنتم ترسمونها بخطوط المطامع والحظوظ، ويرسمها الله بخطوط الحرمان والمجاهدة؛ إن التام على الأرض مَن تم يا أسفا! لن يقول الميت للحي شيئًا! ومن يدري؟ لعلنا ونحن نَلْحَد للموتى وننزلهم في قبورهم، وأننا مدفونون ●●● ،بمتاعها ولذَّاتها ورجعنا مع ... !في القبر الذي يسمونه «الكرة الأرضية»! وهل الكرة الأرضية من اللانهاية إلا حفرة برجل نملة لتُدْفَن فيها نملة؟ تبارك الذي جعل في قلب الأم دنيا مِن !الصديق إلى بيته، وغشيتْها الغشية فماتت وهي تضحك، وكانوا هم عقلها في ساعة الموت خلقه هو، ودنيا من خلق أولادها! وكأنه ثمانية أرطال من الحياة لا ثمانية أعوام من العمر؛ جاء إلينا كما يجيء الفَزَعُ لقلوب وطغتْ عليه الدموع فتناول منديلَه ومسحها بيده الصغيرة، ولكن روحه اليتيمة !مطمئِنَّة؛ إذ كان في عينيه الباكيتين معنى فَقْدِ الأم ثم تطير من «!تأبى إلا أن ترسم بهذه الدموع على وجهه معاني يُتْمها! وجلس مستسلِما تترجِم هيئتُه معانيَ هذه الكلمة: «رفقًا بي ولا يصدق أنها ماتت! ،عينيه نظرات في الهواء، كأنما يحس أن أمه حوله في الجو ولكنه لا يراها! كأنما يرجو أن يرى أمَّه في طَوِيَّته ولمس خشونة الدنيا منذ الساعة، لأن فيه قلب أمه ،فإن صوتها حيٌّ في أذنيه لا يزال يسمعه من أمس! ويتململ في مجلسه وارتسم !ولبسته المسكنة؛ لأنه صار وحده في المكان كما هو وحده في الزمان وشعر بالذل ينساب إلى قلبه الصغير؛ .وروحها ثم تغرغرت٤ عيناه فيخرج منديله ويمسح دمعه بيده الصغيرة، نهض يحمل رجولته التي «!على وجهه التعجب، فلماذا أنا هنا؟ !بدأت منذ الساعة! هذه الأيام السعيدة التي كنت تعرف الغد فيها قبل أن يأتي معرفتك أمس الذي مضى؛ إذ يأتي الغد ومعك أمُّك ،وبدأت — أيها الطفل المسكين — أيامك من الزمن

Summarized by © lakhasly.com